زكي ناصيف في حوار مع «الحياة»

خلال تكريمه في بعقلين: البطل الايجابي اسس للاغنية والف

■ اقيمت في بعقلين حفلة لتكريم الموسيقار زكي ناصيف تحدث فيها عدد من الفنانين ورعاها وزير الدولة وليد جنبلاط يوم السبت ٢٩ حزيران (يونيو) المنصرم.

وتحدث توفيق الباشا الذي جمعته وزكي ناصيف صداقة سنوات دون تحديد عن هذه العلاقة التي تعود الى الثلاثينات. فقال ان ناصيف كان عازفا في بدايته وتحول الى التعمق في الموسيقى العالمية والتأليف الموسيقي وهو من قادة الفكر والثقافة.

وقال الباشا ان زكي كل الامكانات العلمية والتقنية والثقافية لاستعمال اصحاب الطاقات على الابداع ... ونجاحه.

وقال ان زكي ناصيف لا يقل شأنا عن قرائن شوبرت الذي تأثر واحب موسيقاه وادماسه المرهف في سبك الالحان. ان هذا لا يفكر في الغد ليعيش يومه يكون هنا صادرا عن بنكر الخلود. الروح خالدة والموسيقى هي لغتها.

وقال الدكتور وليد غلمية ان الموسيقى لا تعيش الا حيث تعيش الانسانية بقيمها وسموها وتصورها وتحركها وبهذا المعنى الموسيقى هي في اساسها ضد الظلم وضد الكراهية الانسانية، لانها لا تكون الا سامية ولا تعبر الا عن سمو.

وتصادف ... وتكريم زكي ناصيف اليوم ... سمو

لتكريم ابداع سام من بطل الانسان المبدع والمتعلق وا... العظيم. ابداع زكي ناصيف ... مسيات الجبل والسهل ... القطاف، ومع عامل الحقل، و... وفي الثقة الادمية والاعياد وال... ...قال عنه ... ابداعه ... المميزة في هذه البقعة من الا... ان يساهم ... اهمه ... الشرق/عربية محافظا في ال... الاصيلة وبطالمها ومنطقها...

☐ بيروت - من طه عداي

■ تاريخ لبنان الفني والثقافي سيذكر زكي ناصيف بكثير من الاحترام والاكبار، نظرا لمحافظته على التراث الفني وعطائه تحت كل الظروف الضاغطة والصعبة ... وكان الحوار التالي:

● الفولكلور ... ماذا ... التراث ...

ولا، لنعرف معنى الفولكلور. انه التراث الشعبي، او هذا الارث الذي يتلقفه الابناء بامانة وصدق الى الابناء، كانه جزء منهم يحافظون عليه محافظتهم على شيء ثمين يملكونه، حفظا له من الضياع والاندثار. ولعل ابرز التقاليد الفولكلورية موضع اهتمام الناس هي الرقص، او اللحن الراقص، وتجري اليوم في ... مهرجانات فولكلورية، فترسل كل دولة فرقة ترقص على وقع الحانها الشعبية. فالرقص كما قلت ابرز ما في الفولكلور. فهو اللحن النابع من تراث شعب معين، والرقصة المرتكزة على هذا اللحن. والزي الذي يتميز به مظهر الحركة الراقصة. الازياء السلافية تختلف عن الالمانية وعن الفرنسية وثمة اختلاف في الايقاعات الراقصة والالحان والخطوات والحركات. هذه البلدان تختلف بلغاتها، وتختلف بفولكلورها. وهناك دول تتفق بلغتها ولكنها تختلف بفولكلورها. لان العادات والتقاليد لا تنتقل في سهولة عنها. كاللغة على سبيل المثال لا الحصر. انتقلت اللغة العربية بواسطة الفتح العربي الى مصر، التي كانت تتكلم القبطية الحاملة الكثير من الاصول السامية بعامل الانصهار والتبر والقرابة بين اللغتين، انتشرت اللغة العربية في مصر بسهولة. وكذلك الامر بالنسبة لسكان الريف ... هذا التحضر في اللغة لم ترافقه تغيير بالعادات والتقاليد المصرية. فحضارة وادي النيل قديمة جدا هي حضارة الفراعنة والسكن والزراعة. وكل ما نتج عن التجمع الانساني حول مورد الحياة العظيم نهر النيل لهذا السبب اعطى الفتح العربي المصريين اللغة والدين. وبقي للمصريين الشيء الذي نسميه التراث المصري او الفولكلور المصري النابع من تاريخهم الطويل، اي العادات والتقاليد التي يمارسها المصريون في الافراح والاتراح وتخضع الظروف الحياتية والشعبية.

لنعد بعد هذا المثل الى لبنان، الذي يتكون من مجموعة طوائف دينية، اختلطت فيما بينها، فكونت الشعب اللبناني. فنلاحظ ان الجماعات التي وجدت في الاماكن الجبلية والاخرى في السهول الزراعية، عنيت بممارسة الفولكلور. هذه الدبكة التي يمارسها ابناء الجبل والسهل. كيف وجدت وكيف استلهمها الشعب في الاجابة اقول، ان الدبكة كانت تقليدا معروفا، يمارسه القرويون اثناء بناء البيوت ورص السطوح الترابية والحجرية، وكان يتم خلط التراب بالحصى فوق عدد من الاخشاب المرصوفة بانتظام. والاهالي لعدم وجود المدحلة، يلجأون الى رص السطوح باقدامهم. ولكي يسهل العمل، كانوا يخضعون الحركة الى نظام يسهل عليهم عملهم. فيصطفون جنبا الى جنب، الايدي متشابكة والكتف على الكتف، في شبه دائرة. ويدورون وهم يسيرون ٤ خطوات القدم اليسرى الى الامام، واليمنى الى الوراء، وبعد ان يبلغ اقدامهم الحركة الرابعة، يتراجعون الى الوراء في خطوة خامسة، ثم يهوون على الارض في خطوة سادسة (الخطوة الراصة)، وهكذا يستمرون في الدوران بخطوات منتظمة الى ان يرصوا السطح.

● هل يوضح لنا معنى هذه الحركة ... التي رافقتها

انها حركة «العونة» واللبنانيون يمارسونها من قديم الزمان، ولا يزالون الى يومنا الحاضر فدبكة «العونة» نتيجة مبدأ العون او الاعانة. مارسه شعبنا في شتى الظروف الحياتية التي تتطلب التعاون بين ابناء القرية على مجابهة الصعوبات وتحقيق الاعمال التي تتطلب مجهودا جماعيا: كالحصاد والقطاف والزرع وتحضير المونة. بعد الفتح العربي، بدأت اغاني العتابا بالانتشار وبالنسبة الى دبكة العونة (العونا) تلفظ باللهجة السورية. ومع مرور الزمن، تحولت التسمية من العونا السريانية الى دلعونا (دال بالسريانية تعني التعريف) وهكذا اخذوا ينظمون على هذا اللحن باللغة العربية العامية على الدلع والدلعونا وما شابه. هذا كلام عربي لا يطابق مظهر الدبكة العنيد والعنيف. فمعاني الكلمات كان يتضمن المعان والدلع. مع ان مظهر الدبكة يوحي بالعنف والقوة والاصرار على البقاء، وان عملية هذا النظام المرصوص الممهد له بخمس خطوات الى خطوة سادسة عنيفة تخبط الارض بقوة فيها من العناد والاصرار على البقاء والصمود. فالمظهر الخارجي للدبكة هو مظهر دبكة العونة. اما الغناء دلعونا، فلم يكن متناسبا مع هذا المظهر القوي للدبكة.

● ... هذا الاختلاف في رأيك

من هذه اللمحة المبسطة يمكن القول ان سبب الاختلاف عائد الى ان شعبنا اراد ان يرقص على لحن عاطفي فاستنبط اغاني تعبر عن الرقص مما يدل على ان الرقص هو الاصل اي ان الحركة هي الاصيلة. اما الاغنية فكانت عابرة وسطحية، فالرقصة فيها دعوة صريحة الى التعاون والتكاتف في اصلها السرياني بخلاف الترجمة العربية لها.

ومع الوقت انتقلت هذه الرقصة من دعوة تعاون الى الابتهاج في الافراح والمهرجانات والمناسبات.

● ... نقلت هذه الدبكة ... الى المسرح

فكرة نقل دبكة العونة الى المسرح ظهرت للمرة الاولى في اول مهرجان للفولكلور في بعلبك عام ١٩٥٧. كيف ننقل الحلقة التي تدور على سطح منزل او في ساحة الضيعة الى المسرح. الرأي على نقلها الى المسرح بشكلها الطبيعي لفترة ٣ الى ٤ دقائق على ايقاع الدلعونا، على ان تليها اغاني اخرى مثل العزيل والمنجانا. وجرت حوارات طويلة عريضة في هذا المجال. المحافظة على الدبكة الاصيلة وضرورة تنظيم اللحن واغاني ترافقه لهذه الدبكة. كما طرحت فكرة تطوير الدبكة لترافق بعض ا... الحين. فاغنية «يا غزيل يا بو... كانت تغني بينما اقدام الراقص... مظهر التضارب وعدم الانسج... ومقاطع الاغنية، فاحيانا كانت... الخطوة السادسة في آخر الج... تأتي الخبطة وسط الجملة ال...

● كيف ... من ...

لقد جرت عدة اجتماعات عديدة الى ان تم الاتفاق على ... لكل اغنية يمكن ان ترافقها ... ان نراعي عدد مقاطع الاغنية، ... خطوات كما في الدبكة التقليد... او ثماني خطوات حسب طبيع...

● من شارك في عملية التطو...

عملية التطوير رافقها ... والملحنين والمؤلفين ومعلمي الاصوات الجميلة، وهؤلاء ج... من خلال مهرجانات بعلبك و... مجموعة اذاعة الشرق الادنى واداتها، والاخوين رحباني ... وزكي ناصيف كلاما ولحنا، وتوفيق الباشا بالحانه واد... الصافي وصباح، والرئيس ... والادارة لصبري الشريف ان طويل العمل مع هذه المجمو... وتقديم كل جديد وكل عمل ...

● عودة الى الدبكة، هل هي ... موجودة في دول اخرى

الدبكة منتشرة في كل ... نجدها في الجبال السورية و ... يدبكون الدبكة نفسها و لغرو... الرحبا واربد، والقرى العربية في جنين وحيفا ويافا في فلس...